

**دور الالهة والكهنة في طرد الشر
والشيطان في العراق القديم**

م.د. غيث سليم فرحان
كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

م.م. حيدر عقيل عبد
كلية الآثار – الجامعة القادسية

دور الالهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم

م.د. غيث سليم فرحان

م.م. حيدر عقيل عبد

تمهيد :

أُتصفت ديانة بلاد الرافدين بالحيوية ، أذ اعتقد سكان بلاد الرافدين ان الاشياء تتحرك حركة ذاتية ، فالإنسان كان يرى نفسه محاطا بقوى كانت بالنسبة اليه اما الهة او عفاريت اي ان السماء و الارض كانت مليئة بعدد لا يحصى من الارواح ، فالسومريون هم اول من تصوروا بأن هنالك مجموعة كبيرة من الكائنات فوق طاقة البشر اي اكثر مقدرة منه و اقل مقدرة من الالهة ، و لذلك كان على الانسان ان يخشاها و يعمل على استرضاءها بوساطة القرابين او بكليهما ، و يعتقد البعض ان الاشرار من الجن و الارواح كانوا ابناء الالهة الشريرة القديمة و هذه الاشكال تم اعطاؤها للقوى الخارقة للطبيعة و تشمل المرض المفاجئ و الالم و الحالات الاخرى المخيفة و يطلق على هذه الارادة المخيفة بالسومري (DINGIR-HUL) ، اما الاختيار من الجن و الارواح فهم ابناء كبار الالهة و يطلق عليهم بالسومري (DINGIR-TUKU)(١)

و اذا ما تطرقنا الى سبب تجسيد هذه الظواهر الطبيعية الخارقة و المؤذية بصورة الشيطان في العراق القديم ، فان الانسان في الحياة البدائية يظل رهينا بمشيئة الارواح التي تنفع و تضر و تنطوي له على الصداقة او على العداة و لكنها في رأيه تعمل ما يحلو لها و لا يحق لأحد ان يحاسبها عليه ، و لكنه كلما ترقى في التمييز بينها ملك الميزان الذي يزن اعمالها و اقدارها فيدين بعضها و يحمد بعضها و يعرف فيها مرؤوسين و رؤساء يحق لهم ان يشرفوا عليها و يحاسبوها على اعمالها ، و احس بداخله ان يطيع بعضها ضرورة و غصبا و يطيع بعضها حبا و اختيارا انه اهل للطاعة و الرجاء (٢) .

دور الالهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم.....

و حسب فكر العراقيين القدماء فان الشياطين لم تكن مخلوقات العالم الاخر فحسب بل كانوا يعدون الهة ولدوا في السموات ، و كان الاله (انو) الاله السماوي الكبير يكبح جماحهم بشدة و يستخدمهم بصفة رسل له ادوات لمعاقبته او نقمته ، و لكن كان يحدث انه بغير علم انو كان هؤلاء الشياطين يمارسون شرورهم في السماء و يجتاحون ارض البشر فيسببون الكوارث (٣) .

اعتقد العراقيون القدماء بوجود جيش جرار من الكائنات الشريرة لها طاقات خارقة تتفوق بها على البشر و لكنها اقل قدرة من الالهة (٤) ، ان هذه الكائنات الشريرة قد صورت بشكل مخيف ، و كذلك وصفت في النصوص المسمارية و هي تعبير عمار يتصوره العراقيون القدماء ازاء تلك المخلوقات ، و يصفها احد تلك النصوص كما يلي:

((انهم عواصف صادمة ، هؤلاء الأشرار

انهم جن بغير رأفة ، ولدوا في قبة السموات

انهم عملاء الشؤم

انهم عملاء الشر الذين لا يفكرون الا في الشر

و هم دوما في المقدمة لاخترق الاغتيالات (((٥)

فيما يصفهم نص اخر :

((انهم في المقدمة دوما لإخترق الاغتيالات

في سموات الملك انو الفسيحة

انهم هناك بوقاحة و لا خصم لهم (((٦) .

لقد تأثر كل من الدين البابلي و الاشوري تأثرا عميقا بالاعتقاد القائل بوجود الجن و الارواح الشريرة و الخيرة التي تحيط بالإنسان احاطة دائرية و لا يوجد اي حديث ثابت يغير حقيقة هذه الكائنات ، الا ان الاشرار من الجن و الارواح كانوا يعتبرون أبناء للالهة الاشرار القدماء و الذين اوقع بهم (مردوخ) هزيمة لكي يحرر زملاءه الالهة من تأثيرهم و نفوذهم ، اما الاخيار من الارواح و الجن فقد قيل عنهم انهم كانوا ينحدرون من بعض كبار الالهة الذين ما زالوا يعبدون (٧) .

و لعل الفرد في بلاد الرافدين كان يرى نفسه محاطا بعدة قوى كانت تشكل اما الهة او عفاريت ، فهناك العفريت الغاضب الذي يظهر نفسه اثناء العواصف الرملية التي تأتي من جهة الصحراء ، و من المحتمل ان يضرب الرجل الذي يعترض هذا العفريت و يصاب بالتهاب الجيوب المؤلم (٨) .

كما ان العالم كان مليئا بهذه المخلوقات المزعجة ، فتقريبا أية مصيبة أو أزعاج غير مألوف يحدث ، ذو طبيعة تعسفية ، يصيب الانسان قد يكون من عمل الشياطين(٩)

لا يعد الشر من صفات العفاريت فحسب بل هنالك بعض الالهة التي كانت موكلة بشؤون الشر الطبيعي و خصوصا ما يتعلق بحياة الانسان من الالم و المرض و جميع هذه الالهة ينتمي الى قوى الظلام و العالم الاسفل ، فهناك (ارشكيجال) ربة العالم الاسفل التي تعمل على ملء مملكتها من الناس اجمعين ، و زوجها (نركال) الذي كان يرسل عفاريت الظلام لتجوس في الارض و تؤذي الناس (١٠) .

المبحث الاول

نشوء فكرة الشر و الشيطان :

من المرجح ان الافكار الاولى للشر او الشيطان في فكر الانسان القديم قد بدأت مع بدأ الديانة لدى هذا المخلوق ، اي عند بدايات الشعور بالخوف من المجهول ، و الامثلة على وجود بوادر دينية في حضارات العصور البدائية المبكرة السابقة للعصور التاريخية كثيرة لا مجال لذكرها ، الا ان المجسمات او الرسومات التي توضح الشر (استنادا الى ان الرسم و المنحوتات البدائية الصغيرة ، مثلت واثق لهذه العصور و اسس لدراسة افكارها) ، لم يرد فيها ذكر للشر بشكل كبير ، مع وجود دليل مادي لذلك ، حيث عثر في فلسطين على بعض التماثيل النسوية الصغيرة و التي يعود تاريخها الى ٤٥٠٠ ق.م ، تمثل الالهة الام مثلت بشكل مرعب شيطاني (١١) ، و يرجح ان تمثيل هيئة الالهة الام (و التي تمثل رمز الخصب و التكاثر) ، بهذه

الصورة المخيفة يعود الى تقلبات البيئة و بالتالي تقلبات الاراضي الزراعية و ظهور الكلاً لرعي الحيوانات .

ان وجود الشر مرتبط لدى الانسان بوجود الخوف من المجهول و من الكوارث الطبيعية و جسد بالطبيعة الغاضبة و لم يبرز الشر او الشيطان ككيان محدد الا مع تخصص الالهة و الارواح من قبل الانسان و جسد بصورة مخلوقات روحية مختلفة في العصور التالية مع بروز قدرة الطبيعة الهائلة في التغلب على جهود الانسان .

فكلما حاول الانسان ان يغير العالم الذي يعيش فيه احس بعد ذلك بمدى ضعفه و وهنه و ضالته ، و أصبح قادرا على ادراك مدى رحابة و قوة تلك الكائنات التي تتحكم في جهاز الطبيعة الهائل و تسييره (١٢) .

و من المرجح ان الانسان بدأ يلاحظ عدم سيطرته على الطبيعة و بصورة أدق قوة الطبيعة و سطوتها عندما مارس الحضارة و المدنية اي الزراعة و تدجين الحيوانات حيث بدأت تأثيرات الطبيعة السيئة (كالعواصف و الجفاف و الامطار ... الخ) كارثية على معيشته ، على العكس مما كان يقوم به في الكهوف حيث الصيد البسيط المتوفر ان عدم ثبات البيئة و التغيرات الهائلة التي تحدث فيها و تسبب هلاك الانسان و اذيته قد دفعته للاعتقاد بوجود قوى عليا تسيطر هذه الحركات الخارقة و ما دامت تضره فهي تمثل قوى للشر ، ففكر الانسان القديم يفترض وجود ارواح حارسة و بالطبع يناظرها ارواح اخرى مضادة لها . لذلك عمد الى معرفة هذه القوى و تصنيفها و القيام بطقوس و شعائر سحرية معينة بهدف الوقاية منها او التخلص من شرورها ، و يؤكد مالينوفسكي (١٣) ان الدين و السحر و الشعائر تقدم لنا اليات نفسية اجتماعية لمواجهة تلك المعاناة و الضغوط بتنفيس التوتر في مخارج شعائرية و روحية (١٤) .

و اذا ما عدنا الى بواكير فكرة الشر و الخوف منه ، فنجد ان الانسان في العراق القديم اعتقد بأرض مليئة بالشياطين و ارواح الشر التي تروح و تغدو كما نشاء ، و ربما يكون سبب تفكيره هو عدم ثبات بيئته و تغيرات محيطه العنيفة المستديمة و

الفجائية ، فالرياح الشديدة و الحرارة الشديدة و العواصف الرملية و ضعف التربة ، جعلته غير قادر على الثقة ببيئته و هي بنظره مليئة بقوى مدمرة و مهلكة (١٥) .

كما ان جميع الشعوب البدائية كانت تؤمن بتكرار التجليات أو على الاقل بحدوثها في بعض حالات التواصل الشخصي بين البشر و قوى غيبية عليا ، وحين تكون الطبيعة كلها غامضة و تكتنفها أنشطة مبهمة ، فإن شيء أو حدث غير طبيعي يتصل بالخيال أو يثير أحاسيس الرهبة و الجلال يؤخذ على انه تجل لكيان الهي أو شيطاني (١٦)

ان اساس اعتقاد العراقي القديم بقوى الشر و الشيطان عامة هو التغير المستمر في البيئة كالفيضانات المدمرة بالريبع و الحرارة الشديدة بالصيف و ملوحة التربة و توحد طرقه نتيجة المطر شتاء و اقتنع سكان بلاد الرافدين بان الكون مليء بالعفاريت الطيبة و الخبيثة و الاخيرة هي اولاد الهة الشر الذين نحرهم الاله مردوخ (١٧) في قصة الخليقة البابلية ، و العفاريت الشريرة اكثر عددا من الطيبة فصوروهم كوحوش مخيفة و كائنات مرعبة (١٨) .

و بطبيعة الحال يشير ذلك الى مقدار تأثر العراقيون القدماء ببيئتهم و ما تفرضه عليهم من تغييرات قاسية ، و لم تكن البيئة وحدها عاملا بنشوء الفكر الخاص بوجود الشر و الشيطان بل ، ليشمل ما عجز ذلك الانسان عن تفسيره من امراض صعب علاجها و احداث غامضة بالنسبة له كانت ذات مردود سيء عليه . ان الفيضانات المدمرة و الزلازل و البراكين هي شر طبيعي ، اما القتل و الاغتصاب و السرقة و الظلم فهي شر اخلاقي تتجم عن العلاقات الاجتماعية ، و بتعبير اخر فإن الشر الطبيعي ينتج عن ظواهر فيزيائية و الشر الاخلاقي ينتج عن البشر ، فنسب الخير و الشر على مستوى الطبيعة الى الالهة (١٩) .

اعتقد العراقيون القدماء بوجود الكائنات الشريرة لها طاقات خارقة تتفوق بها على البشر و لكنها اقل قدرة من الالهة ، ان هذه الكائنات الشريرة قد صورت بشكل مخيف ، و كذلك وصفت في النصوص المسمارية و هي تعبير عما يتصوره العراقيون القدماء

دور الالهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم.....

ازاء تلك المخلوقات (٢٠) ، و تتجسد هذه المخلوقات بالشياطين و الارواح الشريرة والتي تقوم بأفعال غير جيدة وغير مرغوبا فيها .

وتعرف الارواح الشريرة بأنها اضطراب يتسم بآثار فيزيائية غير مألوفة ، تنتج عن مصدر خارق مما يوحي بوجود نوايا مؤذية او مدمرة و تشمل هذه الظواهر ما هو غير مفسر من حركة الاشياء و انكسارها و الطرقات العالية و اشعال النيران و الإيذاء الشخصي للناس . (٢١)

ومن الجدير بالذكر ان ظاهرة تجسيد الشر والشيطان في العراق القديم لا تعود الى شخص محدد او فترة او كيان قائم بذاته (شأنها في ذلك شأن العادات الدينية و الدين نفسه) ، فالشعوب و الحضارات القديمة ذكرت معتقداتها دون وجود ذكر لكاهن او حاكم ذو صفة دينية او مسؤول اعلى .

فالمعتقد الديني تقوم عقول الجماعة على صياغته و تعمل الاجيال اللاحقة على صقله و تطويره ، فديانات الامم القديمة سومر و اكد و كنعان و مصر و اليونان ، قد تركت لنا مدونات عن معتقداتها دون ان تذكر شيئا عن صدور هذه المعتقدات عن كاهن او عراف او متنبئ (٢٢) .

و خلاصة القول ان الافكار الشر و الشيطان كانت موجودة في العصور البدائية الاولى و لكنها كانت غامضة و مبهمة لعدم تبلور الفكر الديني بشكل جلي و ما ان باتت هنالك اشارات للديانة في كهوف و ملاجئ العصور القديمة فهنالك اشارات للشر و الشيطان و لعل من اولها هو مجسم صغير للإلهة الام بشكل شيطاني مخيف ، و ان نشوء مثل هذه الافكار يعود الى عدم استقرار بيئة الانسان و حدوث امور ذات مردود سيء عليه و تكون خارجة عن حدود المعقول بالنسبة اليه ، فأصبحت ذات قوى شريرة .

كما هو الحال في فكر العراقي القديم الذي ارجع تغيرات المناخ و البيئة الى القوى العليا الشريرة و كذلك الامراض الخطرة و الامور الخارجة عن المألوف .

المبحث الثاني

دور الالهة والكهنة في طرد الشر والشيطان :

تصور الانسان نفسه محاطا بشتى أنواع القرى الشريرة التي تهاجمه نتيجة اقترافه للنوب ، و حمى نفسه بنظام من الطقوس و التطهير و الغفران و السحر و العرافة مركزة حول مدينة أريدو و ألهاها (ايا) المدينة الطبية كما عرفها الانسان اليرافديني القديم (٢٣) حيث مركز عبادة الاله (ايا) و حيث شجرة (كيشكانو) في ذلك الربع الطاهر (الانكورا) كما أوحى للتصور الانسان الاول و ملك مدينة أريدو الكاهن ، و من مياهاها تكونت (السيبيتو siptu) و هي أهم تعويذة في السحر(٢٤).

و أعتقد الاقدمون ان الجن و الاشباح الشريرة هي عبارة عن ارواح الموتى خاصة اولئك الذين يتركون دون دفن فضلاً عن وجود اصناف من الجن الذين كانوا يسببون انواعا مختلفة من الامراض الجسدية و النفسية للناس (٢٥) .

و من أجل مقاومة أو التخلص من هذه الاعراض فقد تم ممارسة السحر الابيض بشعار التعزيم المضاد للجن من خلال مجموعة من الكهنة في المعبد و الذين يتم من خلالهم مخاطبة الهة معينة تختص بهذا الامر (٢٦) ، و ابرز هذه الالهة :

١- الاله (إنكي) و الذي يرد اسمه كثيرا في نصوص السحر و الاساطير و الادعية و الصلوات الدينية و الرقى و التعاويذ و الحكمة و الطبابة فأذا ما أصيب انسان بمرض ما و ذلك من جراء دخول الجن الشريرة في بطنه ، فأن الاله (إنكي) يخرج من جوفه و ينقذه منها (٢٧) ، كما ان قوة الاله (إنكي) تكمن في صلوات الكهنة و تعاويذهم السحرية فهو الذي يصدر الاوامر المشددة التي تتألف منها تعاويذ الكاهن ، و التي تهدأ القوى الغاضبة و تطرد الجن الشريرة التي تهاجم الانسان (٢٨)

٢- الاله (أسالوخي) هو ابن الاله انكي في التعاويذ السومرية و كاهن تعاويذ الالهة الكبيرة ، وهو الذي ينقل الاخبار الاعمال الشريرة لعفاريت السوء الى والده ، و يتلقى منه الارشادات على شكل تعاويذ ليتلافى بها مصائب البشر التي تسببها

العفاريت (٢٩) ، و يقع مركز عبادته في بلدة (كوارا Kuara) المجاورة لمدينة اريدو ، غالبا ما يرد مع ذكر الاله انكي ، ومع المعرفة السحرية و خاصة المحفوظة عن أنكي ، و عندما أعتبر الاله مردوخ ابنا للاله ايا (انكي) كان من الطبيعي ان يستوعب أسالوخي في شخصية الاله مردوخ ، وفي التقاليد السحرية البابلية يستخدم أسم أسالوخي كبديل لمردوخ في التعاويذ و الصلوات (٣٠) .

٣- الاله (مردوخ) يرد بقوة ضمن نصوص التعاويذ و أن تعاضم أسم مردوخ و قوته يعود الى أنتصاره على (تيامة) (٣١) ، و كان الاله مردوخ الابن البكر لأيا يساعده على ايام البابليين في القيام بهذه المهمة و كذلك كان ينوب عن والده في الاستجابة لدعاء المرضى و الاستماع الى تعاويذ الكهنة فيتلقاها و يوصلها الى الاله أيا ، و قد تلقب بنفس القاب والده و هو اله الحياة و استاذ فن التعاويذ و رئيس السحرة بين الالهة (٣٢) .

٤- كذلك وردت نصوص من العصر البابلي القديم تذكر الالهة (ننسينا)(٣٣) و (دامو) و هم الهة التعزيم و الشفاء (٣٤) .

ويرى احد الباحثين بأن العراقيين القدماء قد ميزوا بين نوعين من الطب و الاطباء ، الطب السحري (āšiputu) بمعنى السحر و التعويذ ، و الطب العلمي (asūtu) اي الطب و التطبيب ، و ينسحب هذا التمييز على القائمين بتقديم الخدمات الطبية ، فسمي الاول (ašipu) و الثاني (asu) ، الاشيبيو يدل على المعزم ، المعوذ الذي كان ينتمي عادة الى طبقة الكهنة ، و كانت وظيفته الرئيسية طرد الارواح الشريرة و العفاريت التي تدخل جسم الانسان و تسبب له المرض ، و ذلك من خلال اجراء بعض الطقوس السحرية و من ثم يعرف المرض و يشخص و يعطى له الدواء ، أما القائم بالطب العلمي ، الاسو ، فيعني اسمه (العارف بالماء) أو (العارف بالزيت) و مع ذلك لم يكن هنالك فصل كامل بين هذين النوعين من الطب فغالبا ما كان الطب العلمي يغلف بطقوس سحرية لمعالجة المريض نفسيا و اعطاء الدواء اللازم لمعالجته عضويا (٣٥) .

اما الكهنة المختصين بطرد الشياطين و الارواح الشريرة فأنهم كانوا ينوبون عن الالهة المختصة بطرد الشياطين ، فكان جميع كهنة التعاويذ يساعدون الاله أنكي رئيس الهة التعاويذ و العزائم بعمليات التعاويذ و ينوبون عنه و كان يوجزهم لكي يقوموا باسمه و لوحدهم بمهمة الطباية عن طريق التعاويذ (٣٦) .

كان هؤلاء من ضمن كهنة التعزيم ، و كان عمل المعزم هو طرد الارواح الشريرة و العفاريت من جسد المريض ، و تكمن وظيفة المعزم في البداية بتشخيص المرض و من ثم استخدام الاساليب المناسبة لمداوة المرضى بالتعزيم اذ يعد التشخيص الصحيح من الامور المهمة لعملية التعزيم ، و يأتي ذلك من خلال الخبرة الواسعة للمعزم في هذا الموضوع ، ومن خلال النصوص الخاصة بأساليب التعزيم المكتوبة من المعزمين انفسهم يرد لنا اسلوب الوقاية الشخصية بالنسبة للمعزم نفسه من الامراض فهو يمتلك السيطرة الكاملة في التعزيم ضد العفاريت (٣٧) .

أما عن أنواع الكهنة المعزمين ، فهم كالتالي :

- كاهن الماشماشو و كاهن الاشيبو (وهو مصطلح استخدم للدلالة اما على مساعد كاهن الماشمشو او لكاهن اخر يناظره) ، المصطلح السومري MAŠ.MAŠ.ŠU يرادفه باللغة الاكدية mašmaššu و يعني طارد الارواح الشريرة (٣٨) أما ašipu أو (wašipu كلمة أكدية تعني كذلك طارد الارواح الشريرة و يرادفها بالسومرية) MAŠ.MAŠ LÚ. (٣٩) .

كان هذان الكاهنان معنيان بتخليص الناس من القوى السحرية الشريرة او الارواح أو الشياطين ، وكانا يقومان بتلاوة التعاويذ و اجراء الطقوس المناسبة ، وقد يستخدمان التعاويذ و الطقوس لشفاء المرض اما وحدهما او مع بعض العمليات الجراحية و الاساليب الطبية الفنية الفعلية (٤٠) ، وكثير من الطقوس و التعاويذ التي يقوم بها كاهن الماشماشو MAŠ. MAŠ.ŠU لم تكن تجري في المعبد وانما في مسكن الرجل المصاب و على الرغم من ذلك فأن كاهن الماشماشو كان يؤدي واجبات في ادارة المعبد الاعتيادية و في طقوس تطهير المعبد (٤١) .

- ان المعزم (w)āšīpu وهو طارد الارواح الشريرة بالتعاويذ و الرقى و عرف بشكل واسع في العصرين البابلي الوسيط ١٥٠٠-٦٢٦ ق.م. و الاشوري الوسيط ٩١١-١٥٠٠ ق.م. (٤٢) و قد وردت عدة مصطلحات تدل جميعها على هذا المعزم ، وكان منها :

PRIG3 – LU2.ME.ME

LU2.MU7.MU7

LU2.KA.INIM.MA

LU2.MAŠ. MAŠ (43)

يطلق على كبير هذا النوع من المعزمين rab āšīpi بمعنى رئيس طاردي الارواح الشريرة ، فيما أطلق على حرفة هذا المعزم āšīputu بمعنى ممارسة طرد الارواح الشريرة ، ممارسة التعازيم ، مجموعة نصوص التعاويذ (٤٤) .

- أما كاهن mašmaššu و الذي ورد ذكره اعلاه ، فقد أطلق على الوظيفة التي يقوم بها هذا الكاهن mašmāšutu بمعنى ممارسة طرد الارواح الشريرة و كان كبير هذا النوع من المعزمين يعرف باللغة السومرية MAŠ.MAŠ.GAL و يرادفه بالاكديية mašmāšgallu بمعنى رئيس طاردي الارواح الشريرة (٤٥) .

- و هنالك كاهن التطهير بالسومرية (SANGA2) و يرادفه باللغة الاكديية (mullilu) و يؤدي دورا في عمليات التعزيم و المصطلح mullilu يشير كذلك الى أداة طقوسية عبارة عن مرشة للماء تستخدم بشكل اساس في الطهارة الطقوسية في شعائر التعزيم (٤٦) .

أن لرش الماء على المريض مكانة مهمة في نصوص التعاويذ و الرقى ، و ذلك بدافع الاعتقاد ان الماء رمز للحياة و انه مطهر من الارواح الخبيثة ، فالأرواح الطيبة لا تقرب الا الجسم المطهر المغسول (٤٧) .

- و من بين كهنة التعزيم يرد الينا الكاهن (MUŠ.LAH4) و يرادفه باللغة الاكديية (mušlahhu) و هو الساحر و المشتغل بالأعمال السحرية و يعرف كذلك

بحاوي الثعابين و الحيات و باللغة الاكدية فأن المهنة التي يمارسها تدعى (Amušlahhutu) (٤٨) .

- الكاهن (GALA) و باللغة الاكدية (kalu) و يعني كاهن الرثاء (٤٩) و كان الكالو طاردا للأرواح و كان جزء من واجبه ان يطيب قلب الاله بموسيقاه (٥٠) .

- الكاهن (NARU) و باللغة الاكدية (naru) و يعني كاهن الرثاء (٥١) و يعني المنشد و كان هنالك أعضاء من الذكور و الإناث من صنف كاهن النار و هؤلاء على صلة وثيقة بطاردي الارواح الكالو kalu و كان الصنفان يشتركان في ترنيم النواح (٥٢) .

و الجدير بالذكر أن الكاهن المعزم لم يكن له أي فضيلة موروثة بالفطرة ، بل هو يستمد سلطاته من تعبده ، و من كونه ممثلاً لآلهة السحر الذين يعتمد عليهم في ممارسته لعمله المقدس ، وكان الكاهن المعزم يصيح اثناء ممارسته لعمله قائلاً :- (الاشيبو الذي خلق في اريدو ، مدينة ايا المقدسة ، أنا هو) ، ثم ينطق بالكلمات الخاصة بالشعائر اللازمة لطرد العفاريت و يكون المعزم في هذه الحالة لابسا الرداء الاحمر لأن اللون الاحمر هو اللون الواقى من الارواح بالإله أيا أله المياه ، أما الكلمات التي ينطق بها فلا يقولها أرتجالاً بل انها وحي الالهة الحقيقي و تبقى كذلك دون أن يصيبها اي تغيير ، كان الكاهن ينادي خصمه بالنيابة من الهة السماء و الارض و هذا النداء يجرده (الشيطان) من قوته (٥٣) .

ويعد الكاهن المعزم كان يستمد قوته من مساعدة الالهة له ، و نرى في النصوص المسمارية الخاصة بتعاويد التعزيم ما يؤكد ذلك ، اذ يخاطب الارواح الشريرة و الشياطين في جسد المريض المعذب قائلاً : (أن أيا و أسالوخي أرسلني اليك) ، و في تعويذة اخرة وردت في نص ثاني نرى الكاهن المعزم مخاطبا الالهة قائلاً : (لقد بكيت لك ، الالهة العظيمة... انت ، كن بجانبني و أستمع الى ما يجب ان اقول ...) و في نص اخر (سيدي ، في وسط السماء النقية ، أنظر الي و وافق على دعائي) (٥٤)

ثم يناشد المعزم الخصم لكي يتوقف عن تعذيب المؤمن و أن يرحل ، ثم يدعو المعزم كل الالهة لمساعدة المعذب و يقرأ بعد ذلك التعويذة الخاصة بطرد الشيطان و تعزز هذه الشعائر بعدد من الاعمال الرمزية كحرق مواد يظن أنها تشبه المواد الشريرة ، وحل العقد التي يعتقد فيها ان الساحر الشرير قد ربط بواسطتها ضحيته ، و أخيرا تلقى تعويذة تبطل تأثير تعويذة الساحر الشرير التي رمى به ضحيته (٥٥) بشكل عام فأن التعاويذ (التعازيم) الخاصة بطرد الشياطين و الارواح الخبيثة تتضمن مقاطع و طقوس تمهيدية لتحديد و وصف المشكلة و طلب المساعدة في حلها ، بعض الاحيان هذه المشاكل وصفت بشكل مبهم او بمصطلحات عامة و في أحيانا أخرى وصفت بشكل دقيق و بمعلومات تفصيلية حول طبيعة الجن المتسبب بها (٥٦). وبرز امثلة التعاويذ الشعرية التي تقرأ على المرضى لطرد الجان و الارواح الخبيثة من الجسد ما يلي :

و لطالما (يا جان) لا تخرج من جسد الانسان ابن الاله

و لطالما لا تفارق الجسم و لطالما لا تخرج

حرام عليك ان تأكل و حرام عليك أن تشرب

عسى ان لا تصل يدك مفتاح ابي أنليل الذي خلقك

حرام عليك أن تذوق الماء سواء ماء البحر أو الماء العذب و حتى الماء العفن

عليك الا تذوق ماء دجلة و لا ماء الفرات و لا ماء الينابيع و لا ماء الترغ

و ان أردت ان تطير الى السماء فعسى ان يكون لك جناح

و ان أردت ان تختفي في الارض فعسى ان يكون الا تجد فيها مكان

فأنقلع الى حيث (٥٧) .

أما وسائل التعزيم المستخدمة خلال الطقوس، فنرى من خلال نصوص التعزيم من العصر البابلي القديم أن من ضمن الاشياء التي أستخدمها المعزمون ، الماء ، أذ أدى دورا كبيرا في طقوس التعزيم لأنه عُد من ضمن طقوس الطهارة ، و يمثل عنصرا مهما من عناصر الوقاية من الامراض ، كذلك استعملت عدد من الاعشاب ، وبعض

المواد المعدنية ، و تظهر في بعض النصوص براهين لميول سحرية من خلال استعمالات لدمى طينية ، فضلا عن ذلك نجد أثناء البخور الذي استخدم لحرق مواد ذات رائحة زكية ، كذلك قوارير مختلفة لماء الماء ، استعملت المشاعل كذلك و التي كان لها دورا مهما في عملية التعزيم (٥٨) ، و ربما تمثل هذه المشاعل شعلة من القصب التي يرد ذكرها في نصوص التعاويذ ، و نجد كلك ذكر جرة من الخمر (٥٩) هنالك نصوص تعزيم(تعويذ) من العصر البابلي القديم تهدف الى حماية الاطفال الرضع و الرجال الشباب و النساء و كذلك المحظيات من هجمات الشيطان Samana ، وصف بأن له فم الأسد، وأسنان التتين، ومخالب نسر وذيل العقرب. ويبدو أن اسمه يرتبط أيضا مع مرض الحبوب ، وربما ينتشر عن طريق حشرة ضارة(٦٠)

نشرت سلاحا لا يواجه ، ولدت تتانينا

حادة الاسنان ، قاسية التسلط

ملأت اجسادها بالسم بدلا من الدم

البست زواحف المرعبة لباسا مخيفا

و وضعت عليها هالات متوهجة ، جعلتها تماثل الالهة

وضعتها لحماية الاطفال الرضع و الرجال الشباب و النساء(٦١)

الخاتمة

١. اعتقد العراقيون القدماء بوجود جيش جرار من الكائنات الشريرة لها طاقات خارقة تتفوق بها على البشر و لكنها اقل قدرة من الالهة ، ان هذه الكائنات الشريرة قد صورت بشكل مخيف ، و كذلك وصفت في النصوص المسمارية و هي تعبير عمار يتصوره العراقيون القدماء ازاء تلك المخلوقات.

٢. لا يعد الشر من صفات العفاريت فحسب بل هنالك بعض الالهة التي كانت موكلة بشؤون الشر الطبيعي و خصوصا ما يتعلق بحياة الانسان من الالم و المرض و

جميع هذه الالهة ينتمي الى قوى الظلام و العالم الاسفل ، فهناك (ارشكيجال) ربة العالم الاسفل التي تعمل على ملء مملكتها من الناس اجمعين ، و زوجها (نركال) الذي كان يرسل عفاريت الظلام لتجوس في الارض و تؤذي الناس.

٣. ان وجود الشر مرتبط لدى الانسان بوجود الخوف من المجهول و من الكوارث الطبيعية و جسد بالطبيعة الغاضبة و لم يبرز الشر او الشيطان ككيان محدد الامع تخصص الالهة و الارواح من قبل الانسان و جسد بصورة مخلوقات روحية مختلفة في العصور التالية مع بروز قدرة الطبيعة الهائلة في التغلب على جهود الانسان .

٤. الشر و الشيطان كانت موجودة في العصور البدائية الاولى و لكنها كانت غامضة و مبهمة لعدم تبلور الفكر الديني بشكل جلي و ما ان باتت هنالك اشارات للديانة في كهوف و ملاجئ العصور القديمة فهناك اشارات للشر و الشيطان و لعل من اولها هو مجسم صغير للالهة الام بشكل شيطاني مخيف ، و ان نشوء مثل هذه الافكار يعود الى عدم استقرار بيئة الانسان و حدوث امور ذات مردود سيء عليه و تكون خارجة عن حدود المعقول بالنسبة اليه ، فأصبحت ذات قوى شريرة .

٥. الكاهن المعزم كان يستمد قوته من مساعدة الالهة له ، و نرى في النصوص المسمارية الخاصة بتعاويذ التعزيم ما يؤكد ذلك ، اذ يخاطب الارواح الشريرة و الشياطين في جسد المريض المعذب.

٦. أن الكاهن المعزم لم يكن له أي فضيلة موروثة بالفطرة ، بل هو يستمد سلطاته من تعبده ، و من كونه ممثلاً للالهة السحر الذين يعتمد عليهم في ممارسته لعمله المقدس.



شكل رقم (١) الاله أيا EA الجالس على المصطبة في مشهد تقديم الامير كوديا
Jeremy Black and Antony Green, Op.Cit , P.139



شكل رقم (٢) الاله مردوخ Marduk
Jeremy Black and Antony Green, Op.Cit , P.129



شكل رقم (٣) يوضح صراع الاله ننورتا مع الشيطان أساكو
Jeremy Black and Antony Green, Op.Cit , P.142



شكل رقم (٤) لوح نحاسي يعود للعصر الاشوري الحديث يبدو انه أستخدم لغايات
طرد الشياطين الشريرة و يظهر الشيطان بازوزو فضلا عن لاماشتو
Jeremy Black and Antony Green, Op.Cit , P.181

الهوامش :

- (١) مريم عمران موسى ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسماوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٦) ، ص ٤٣-٤٤ .
- (٢) عباس محمود العقاد ، ابليس - بحث في تاريخ الخير و الشر و تميز الانسان بيتهما من مطلع التاريخ الى اليوم ، (القاهرة ، ١٩٨٥) ص ٢٩ .
- (٣) رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ترجمة : الاب البير ابونا و وليد الجادر ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ١٥١ .
- (٤) حكمت بشير الاسود، حكمت بشير الاسود ، الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين ، (دمشق، ٢٠٠٧) ط ١ ، ص ٦٩ .
- (٥) رينيه لابات ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .
- (٦) المصدر أعلاه ، ص ١٥٣ .
- (٧) جورج كونتنيو ، الحياة اليومية في بلاد بابل و اشور ، ترجمة سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي ، (بغداد ، ١٩٨٦) ط ٢ ، ص ٤٢١ .
- (٨) هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، (الموصل ، ١٩٧٩) ، ص ٣٣٩ .
- (٩) هاري ساكز ، قوة اشور ، ترجمة عامر سليمان ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ٣١٨ .
- (١٠) فراس السواح، الرحمن و الشيطان ، (دمشق ، ٢٠٠٧) ، ص ١٢ .
- (١١) الياد ميرسا ، تأريخ المعتقدات و الافكار الدينية ، ج ١ ، ترجمة : عبد الهادي عباس ، (دمشق، ١٩٨٦) ، ط ١ ، ص ٦٤ .
- (١٢) جيمس فريزر ، الغصن الذهبي ، ج ١ ، ترجمة : احمد ابو زيد، (القاهرة ، ١٩٧١) ، ص ٣٣١ .
- (١٣) مالفينوفسكي : عالم بولندي مختص في علم الإنسان و يعد من أهم علماء الإنسان في القرن العشرين ، وهو من أهم الرواد في علم الإنسان التطبيقي توفي عام ١٩٤٢ في الولايات المتحدة الاميركية عن ثمانية و خمسون عاما .
- (١٤) محمد الخطيب ، الانثروبولوجيا الثقافية ، (دمشق، ٢٠٠٥) ، ط ١ ، ص ٥٥ .
- (١٥) سامي سعيد الاحمد ، الاصول الاولى لأفكار الشر و الشيطان ، (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص ١٨ .
- (١٦) رويستن سميث ، محاضرات في ديانة الساميين ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، (القاهرة ، ١٩٩٦) ، ص ١١٧ .

دور الالهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم.....

(١٧) مردوخ : اله مدينة بابل حل بعدئذ محل انليل كبير الهة بلاد الرافدين عندما اصبحت مدينة

بابل عاصمة البلاد ، كانت زوجته صاربانيتيم و معبد هو ايساك-ايلا . ينظر :

نيكولاس بوستغيت ، حضارة العراق و اثاره ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي ، (بغداد ، ١٩٩١) ، ص ١٣٥ .

(١٨) حكمت بشير الاسود ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(١٩) فراس السواح ، الرحمن و الشيطان ، (دمشق ، ٢٠٠٥) ، ط ٥ ، ص ١٤ .

(٢٠) رينيه لابات ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٢١) علي شاکر الفتلاوي ، ظواهر الانسان الخارقة و قواه الحسية الفائقة ، (دمشق، ٢٠١١) ، ص ٣٩ .

(٢٢) فراس السواح ، دين الانسان ، (دمشق ، ٢٠٠٢) ، ط ٤ ، ص ٤٨ .

(٢٣) كان الماء يلعب دورا خطيرا في معتقدات العراقيين القدماء من ناحية الطبابة الدينية ، و لا

سيما من ناحية التعاويذ و العزائم و قراءة التعاويذ و الرقى ، و كان يطلق عليه ماء الحياة

الذي يحيي الموتى و يطهر المرضى من الخبائث و الارواح الشريرة و الشياطين ، و لما كان

الاله ايا هو الذي بيده ماء الحياة هذا ، فقد كان في معتقدات العراقيين القدماء رب الماء

المقدس و رئيس الهة التعاويذ و العزائم و مدينته المقدسة اريدو احتلت مكانة مهمة في هذا

الشان . ينظر :

محمود الامين ، شعار سومر ، طبعة دار الوراق ، (بغداد ، ٢٠٠٧) ، ص ٤١ .

(٢٤) رياض عبد الرحمن أمين الدوري ، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية ،

الهيئة العامة للآثار و التراث ، (بغداد ، ٢٠٠٩) ، ص ٢٩١ .

(٢٥) فاضل عبد الواحد علي ، " العرافة و السحر " حضارة العراق ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٨٥) ،

ص ٢٠٢ .

(٢٦) رياض عبد الرحمن أمين الدوري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٢٧) محمود الامين ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٢٨) رياض عبد الرحمن أمين الدوري ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٢٩) د. اندزارد، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(30) Jeremy Black, and Antony Green, Op.Cit, P.36

(٣١) (تيامة) : البحر المشخص في اساطير بلاد الرافدين و يمثل ايضا قوة شريرة معادية للالهة

العظيمة . ينظر :

نيكولاس بوستغيت ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٣٢) رياض عبد الرحمن أمين الدوري ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٣٣) ننسينا : و يعني اسمها (سيدة ايسن) ، و كانت الالهة الحامية لمدينة ايسن و تعتبر ابنة للإلهة اوراش šUra من زوجها ببلي ساك Pabilsag و ابنها هو الاله دامو في الالف الثالث قبل الميلاد عادت خارج حدود ايسن في مدينة لكش مثلا ولكن بعد ظهور مملكة ايسن (٢٠٠٠ ق.م) ازدادت أهميتها بأعتبارها الالهة الخاصة بمدينة ايسن و من تلك الفترة كذلك عرفت بلقب (الطيبة العظيمة لذوي الرؤوس السود) كما هو أنها دامو ، وكانت ترتبط خصيصا مع الشفاء ، و قورنت مع الالهة (ايناانا) و في بعض الاوقات عرفت (الابنة العظيمة لأنو) ويبدو ان ننسينا كانت في الحقيقة تتطابق مع الالهة (كولا Gula) ، ينظر :

Jeremy Black, and Antony Green, Op.Cit, P.140

(٣٤) ليث مجيد حسين ، الكاهن في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، ١٩٩١) ، ص ١٣١ .

(٣٥) عامر سليمان ، " الحياة الاجتماعية و الخدمات في المدن العراقية القديمة في الازمنة التاريخية المختلفة " ، المدينة و الحياة المدنية ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . كذلك ينظر :

ليث مجيد حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣٦) محمود الامين، المصدر السابق ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٣٧) ليث مجيد حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(38) CAD : (M-1) , P. 381: a

(39) CAD : (A-2) , P. 431: a

(٤٠) هاري ساكز ، المصدر السابق ، (١٩٧٩) ، ص ٣٤٣ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

(٤٢) ليث مجيد حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(43) CAD : (A-2) , P. 435: a

كذلك ينظر : ليث مجيد حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(44) CAD : (A-2) , P. 435: a

(45) CAD : (M-1) , P. 381: a

(46) CAD : (M-2) , P. 189 : a

- (٤٧) محمود الامين ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
- (48) CAD : (M-2) , P. 276 : b
- (49) CAD : (K) , P. 91 : a
- (٥٠) هاري ساكز ، المصدر السابق ، (١٩٧٩) ، ص ٤٠١ .
- (51) CAD : (M-1) , P. 381: a
- (٥٢) هاري ساكز ، المصدر السابق ، (١٩٧٩) ، ص ٤٠١ .
- (٥٣) جورج كوننتيو ، المصدر السابق ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .
- (54) J.A Scurlock., Magical Means Of Dealing With Ghosts In Ancient Mesopotamia ,(Dissertation),(Chicago, 1988) , P.76 .
- (٥٥) جورج كوننتيو ، المصدر السابق ، ص ٤٨٥ .
- (٥٦) J.A Scurlock., Op.Cit , P. 89 .
- (٥٧) محمود الامين ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
- (٥٨) ليث مجيد حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
- (59) J.A Scurlock., Op.Cit , P. 76
- (60) Jeremy Black and Antony Green, Gods , Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia , (London , 1998) , p. 159.
- (61) Ibid, p.162